

التمهيد

ركائز المحبة في الشريعة الإسلامية

لقد جاءت شريعة الإسلام الخاتمة، موافقة للديانات السماوية في أصول العقيدة، من توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له، وطاعته باتباع رسله، والإيمان بملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ فوعد الله المؤمنين والمؤمنات الجنة على محبة منه ورضوان، حين طهرت القلوب بالإيمان الصادق، وزكت النفوس بالأعمال الصالحة، قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)^(١)، قال البغوي في تفسيره: (أي: محبة. قال مجاهد: يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين)^(٢)، وقال الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)^(٣) وهذا الفوز العظيم في حق الذكر والأنثى، سواء بسواء؛ لمن تحلى بزيينة الإيمان من أهل الصلاح، ووفق إلى الإحسان في الدين والدنيا، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) ﴿٣١﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا^(٤)، فإن من أعظم المصطفين الأخيار، نبي الله ورسوله إبراهيم عليه السلام، قال الإمام ابن كثير يرحمه الله في تفسيره: (وإنما سمي خليل الله لشدة محبة ربه ﷻ، لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها)^(٥) ومع تقادم الزمان وطغيان الأهواء والشهوات، وتعدد المشارب واختلاف المنازع؛ فقد أدى ذلك إلى اختلال الشرائع، بما أحدثه الأتباع من التبديل والتحريف، حيث قادهم الشيطان إلى الكفر والاختلاف، ومن ضمن ما أحدثوه، حصر محبة الله في فئة من الناس دون البشر، وأنهم شعب الله المختار، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وسلبوا المحبة من بينهم، بنقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء، مع استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، فأخذوا الربا وأكلوا السحت وصدوا عن سبيل الله، وقال الله تعالى في حقهم: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)^(٦) وقال الله تعالى عن حالهم: (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ﴿٦٧﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

(١) سورة مريم: ٩٦.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ.

ج ٥، ص: ٢٥٧.

(٣) سورة التوبة: ٧٢.

(٤) سورة النساء: ١٢٤-١٢٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص: ٤٢٣.

(٦) سورة التوبة: ٣٤.

أَلَسَّحَتْ لِبَيْسٍ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^(١) وحيث استحقوا عقوبة الله، فقد شاعت بينهم العداوة والبغضاء، وغضب الله عليهم ولعنهم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة. وعلى حين فترة من الرسل، بُعث نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بالقرآن، مهيمنا على سائر الكتب، وبالإسلام تبعا لملة إبراهيم حنيفا، وبشريعة كاملة المعاني والمباني للناس كافة، أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا، يدعو إلى الصراط المستقيم، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله، فأتم الله به النعمة وأقام به الحجة، وأكمل به الدين، فقد جاءت شريعة الإسلام بالبينات في دقيق الأمور و جليلها، وميزان العدل والشمول في جميع شؤون الحياة، ومن عظيم ما جاءت به، لتحقيق معنى المحبة في أكمل معانيها وأسمى غاياتها، شاملة لحقوق الله تعالى وحقوق غيره، و مبينة لحقائق الدين في النهي والأمر، ومعالم الدنيا بأسرها حتى النملة في جحرها، ووعد الآخرة ووعيدها، وإذا أمعنا النظر فيما جاء في الكتاب والسنة عن المحبة من خبر، وجدناها تقوم على ركائز قويمه ومعان عظيمة، لها أثر بالغ ومقام عال في الدين والدنيا والآخرة، وهي أصل في طلب كل أمر موجود مرغوب، وأصل في دفع كل أمر بغض مرهوب، ومما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: (فالحجة والإرادة، أصل في وجود البغض والكراهة، والأصل في زوال البغض المكروه، فلا يوجد البغض إلا لحجة ولا يزول البغض إلا لحجة، فالحجة أصل كل أمر موجود)^(٢) فيتحقق بذلك أن المحبة أصل في الإنسان باعتبار وجوده، وجاءت الشريعة باعتبار شرعي لكل ما هو موجود، وعلى ذلك فإن المحبة في الشريعة تعتمد على ركائز عامة، تتعلق بحقيقة وجود الإنسان على الأرض، وبما قدره الله تعالى عليه، من الهبوط إليها والعيش عليها والمبعث منها، وأنها أيضا تعتمد على ركائز خاصة، تنطلق من خصائص خلق الإنسان، وما منحه الله من القدرات والملكات في الخلق والخلق، وبين الركائز العامة والركائز الخاصة تعتمد المحبة على ركائز التكليف الشرعي، متعلقة بتحقيق العبودية لله سبحانه محبة، ولزوم الإنسان أمور الشرع، في الأمر والمنع على محبة. والدعاة إلى الله يدعون إلى مطالب الشريعة من هذا المنطلق، حيث الدعوة الإسلامية تعتمد على خصيصتي: الشمول والتوازن، التي على ضوءها يُعنى الدعاة بركائز المحبة في الشريعة، وينظرون في دعوتهم إلى أحوال المدعوين العامة والخاصة، وما يحقق مقاصد الشريعة، وما تتحقق به المصلحة الشرعية في استجابة المدعو للأحكام التكليفية، زمانا ومكانا وقدرة، وهنا أعرض مثلا عظيما من السنة في ذلك، روى النسائي في سننه عن عُقْبَةَ^(٣) بْنِ مُسْلِمٍ التَّجِيبِيِّ يَقُولُ: (حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُبَلِيُّ^(٤))، عَنْ

(١) سورة المائدة: ٦٢ - ٦٣.

(٢) قاعدة في المحبة، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ص: ٩.

(٣) عقبه بن مسلم التجيبي، أبو محمد المصري القاص، إمام مسجد الجامع العتيق بمصر. قال العجلي: مصري، تابعي، ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". روى له البخاري في "الأدب"، وفي "أفعال العباد"، وروى له أبو داود، والترمذي، والنسائي. وقال أبو سعيد ابن يونس: توفي قريبا من سنة عشرين ومئة. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٠/٢٢٣).

(٤) عبد الله بن يزيد المعافري، أبو عبد الرحمن الحبلي المصري. روى عن كثير من الصحابة، قال عثمان بن سعيد الدارمي، عن يحيى بن معين: ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". روى له البخاري في "الأدب"، وقال أبو سعيد بن يونس: يقال: توفي بأفريقية سنة مئة، وكان صالحا. انظر تهذيب الكمال للمزي (١٦/٣١٦).

الصَّنَابِحِي^(١)، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ وَأَوْصِي بِذَلِكَ مُعَاذُ الصَّنَابِحِي، وَأَوْصَى بِهِ الصَّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَوْصَى بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ^(٢). ومن هذا الموقف الكريم وغيره ندرك الأثر البالغ لصفة المحبة في الدعوة إلى الله، حين تقوم المحبة على ركائزها في الشريعة، يأخذ النبي ﷺ بيد معاذ رضي الله عنه، ويناديه باسمه، ويقسم له بالله أنه يحبه، ويوصيه وصية مؤكدة، وصية محب مشفق، حريص على بلوغ الخير له في كل حين، يوصيه بزم من محدد بذاته، وقت مبارك يتلو عمل صالح، هو الصلاة، يوصيه بقوله: (لا تدعن) يوصيه بعدم الترك مبالغة في الالتزام بالأمر، يوصيه بالدعاء المبارك الذي من تحقق له بلغ الفوز بالجنة، والفلاح في الدنيا والآخرة: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) وكيف رد معاذ رضي الله عنه بعميق الحب لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وهي صريح المحبة في النصح والنصيحة؛ ولأن المحبة تمثل الحياة في حال التزاهة والصفاء المعتقد، وهي مطلب لكل إنسان؛ فإن ركائزها تصدر من وظيفة الإنسان في الكون، وهي ركائز لكل صفة معنوية يكون للإنسان فيها دور خاص يحقق من خلاله الغاية من وجوده، وهي العبودية لله تعالى. وللمحبة ميزات متعلقة بها كصفة، تميزها عن غيرها، وركائز المحبة في الشريعة الإسلامية تنبثق من مصادر الشريعة - الكتاب والسنة - وعليهما يكون الاجماع ومنهما يؤخذ القياس، وهما أصل الدين في الإجمال والتفصيل، وهذا مما نبه عليه العلماء، قال الزركشي: (اعلم أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق، وإخراجه من مدارج الحكمة، حتى إن كل واحد منهما يخص عموم الآخر ويبين إجماله)^(٣)

وهنا أجمل ركائز المحبة في ثلاث ركائز: عامة وخاصة وتكليفية، وهي:

أولاً: الركائز العامة :

إن ركائز المحبة العامة تنطلق في الشريعة من فقه الإنسان وإيمانه بحقيقة الوجود والحياة، وإيمانه بالمعاد والمصير، فإن كل محبة تصدر عن الإنسان أو تصير إليه، هي محبة ركائزها عامة، بالنسبة لوجوده كمخلوق، وجد لغاية في حقيقة الوجود، وهذه الركائز هي:

(١) عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن عسال المرادي أبو عبد الله الصنابحي اليماني، نزيل الشام، وفد على النبي ﷺ فوجده قد مات، فصلى خلف أبي بكر وروى عنه وعن عمر وعلي وبلال وغيرهم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١٠٥/٥). ذكره محمد بن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وفي الطبقة الأولى من تابعي أهل مصر، وقال: كان ثقة قليل الحديث. رحل إلى النبي ﷺ فقبض النبي ﷺ وهو بالجحفة قبل أن يصل بخمس أو ست أو دون ذلك، ثم نزل الشام ومات بدمشق. انظر تهذيب الكمال للمزي (٢٨٣/١٧).

(٢) انظر: سنن أبي داود - كتاب الوتر - باب في الاستغفار، حديث رقم: ١٥٢٤ (٥٦١/١) وانظر: مسند الإمام أحمد - مسند الأنصار رضي الله عنهم. واللفظ له، حديث رقم: ٢٢١٧٢. (٢٤٤/٥) تعليق شعيب الأرثوؤط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: ١٥٩٦ (٢/١١٩).

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بشار الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار المعرفة، ط ١، ١٣٧٦ هـ، ج ٢، ص: ١٢٩.

١) الخلق والابتلاء: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: « خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَخَلَقَ الثَّوْرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ وَفِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ »^(١). خلق الله أبانا آدم -أبا البشر- بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء، وأسكنه وزوجه الجنة، وابتلاه فيها بالشجرة، وأخبره بعداوة إبليس له ولزوجه، وعندما وسوس لهما الشيطان واغتراء، فأكلا من الشجرة، أهبطهم الله إلى الأرض لحكمة منه سبحانه وتعالى وعدل، وغاية تقصر عقولنا عن إدراك بعدها إلا بما أخبر الله به في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(٢) وبهبط آدم وزوجه عليهما السلام وإبليس إلى الأرض في عداوة.

٢) الصراع بين الخير والشر: حيث هذا الصراع يظل قائما مدى الحياة البشرية، ومعين المحبة والصفاء، يعكر صفوه نزغ الشيطان بالعداوة والبغضاء، ويبقى الأصل في آدم عليه السلام وبنيه، حب الخير وسلامة الفطرة وحب الدنيا والآخرة، وطول الأمل وحب البقاء، ويمثل ذلك ركائز المحبة العامة، التي يسعى الشيطان من خلاها إلى خداع بني آدم، والتغريب بهم، لتبديل الخير شرا، وتغيير الفطرة السوية إلى خبيث الطوية، والغرور بزينة الحياة الدنيا وإلهاء الأمل، وإيثار الدنيا على الآخرة، وصرفهم عن عبادة الله وطريق الجنة. ولقد جاءت الشريعة بالإيضاح المفصل للعلاقة بين الإنسان والشيطان في الخلق والعداوة والمصير، وطرق الخداع وعواقب الإتياع؛ بما يضمن للإنسان الصالح الوقاية والنجاة، كما أوضحت التوجيه الرباني لضبط المحبة في كل شيء، بما يضمن للإنسان الحياة السعيدة، ويجنبه حياة الضنك والشقاء، وفي بيان هذه العلاقة قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴿٥٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَتَتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَ ﴿٥٧﴾ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٨﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٥٩﴾ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَفْزَزَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٠﴾)^(٣) وحقيقة الصراع بين الخير والشر واضحة النهاية كوضوح البداية من الوحيين، وهي ظهور الحق وإزهاق الباطل .

٣) الغاية من الوجود : وتتحدد هذه الغاية في العبادة الحقة لله تعالى، بحسن الطاعة، والتحصن من غلبة الهوى وسلطة الشياطين، وإغلاق سبل الغواية و الأخذ بأسباب النصره والله حافظ لعباده الصالحين، قال

(١) انظر: صحيح مسلم - كتاب صفة الجنة والنار - باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، حديث رقم: ٧٢٣١. (١٢٧/٨).

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة الإسراء : ٦١ - ٦٥.

الإمام الطبري في تفسيره : (قول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني، فاتبعوا أمري وعصواك يا إبليس، ليس لك عليهم حجة. وقوله) (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا) يقول جل ثناؤه لنبِيِّه محمد ﷺ وكفاك يا محمد ربك حفيظًا، وقيما بأمرك، فانقد لأمره، وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين، ولا تخف أحدا، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك^(١).

ثانيا: الركائز الخاصة :

إن ركائز المحبة الخاصة تنطلق في الشريعة من طبيعة الخلقة الإنسانية، فإن كل محبة يجبها الإنسان أو ترد إليه، لها علاقة مباشرة بقلبه وعقله، وسمعه وبصره، وسائر بدنه، حيث أن عوامل التكامل في الكيان الإنساني تمثل منظومة فريدة في طبيعة الخلق وما تؤديه من وظائف، قال الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)^(٢) قال ابن كثير في تفسيره: (هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سوي الأعضاء، حسنها)^(٣) ونسق التكامل هذا يدل على غاية عظمى خلق من أجلها الخلق، وعلى عظيم قدرة الخلاق العليم، وشرف المخلوق وتكريمه، فإن البدن من نشوءه في البطن وتخلقه، تتعلق به الروح فيحيا بها، وحين الانفصال عنه تتوقف الأعضاء عن أداء الوظائف في أدوارها المادية، وتبقى حياة الإنسان بالروح ممزوجة في تكامل خاص لكل فرد من عدة حيثيات تمثل ركائز خاصة في حياته وتجعله يختلف مع الآخرين :

١) القلب : حين الحياة تجدد القلب أقوى فعالية، يعمل على جريان الدم في البدن، ويتقلب بين الخير والشر في أحوال مختلفة، تزيد وتنقص من أجلها المحبة.

٢) العقل: يرتبط العقل بجميع أعضاء البدن في مواطن الإحساس ومحاور التفكير والتصرف، فترتفع وتنخفض معه درجات المحبة.

٣) النفس: وتعيش النفس البشرية بين أحوال القلب المترددة وسلسلة الأفكار العقلية المختلفة، في طمأنينة، ولوم، وأمر بسوء، وتوبة وأوبة، تحدث في أشكال متعددة يقوم بها الإنسان.

٤) الخلق والسلوك : ويمثلها تصرفات الإنسان من أقوال وأفعال، على ضوء البيئة وعوامل التأثير والتأثر، وما نشأ عليه من المعتقد والأدب، وكل ذلك بقدر الله وعلمه ومشيتته، خلق فسوى، وقدر فهدى.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج ١٧، ص: ٤٩٦.

(٢) سورة التين : ٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص: ٦١٩.

فإن ما يملكه الإنسان من ملكات وقدرات، لا يمكن لنا بلوغ منتهى وصف فوائدها وإدراك نتائجها، فهي ركائز تختص بكل شخص، وتختلف من فرد إلى آخر، ولكن هي ركائز هامة، تدور معها صفة المحبة، في ضيق واتساع، وسلب وإيجاب، والإنسان رهن ما كسب واكتسب، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وأبان القرآن الكريم فضل الله ونعمته على الإنسان بما وهبه من قدرات؛ ليسير بها على بصيرة في حياته، قال سبحانه وتعالى:

- (أَلَمْ يَجْعَلْ لَّهِ عَيْنَيْنِ ﴿١﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٢﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٣﴾)
- (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلَيْسَ بِنَافِثٍ لَّا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ﴿٢﴾
- (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ﴿٣﴾
- (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) ﴿٤﴾
- (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٢﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٣﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) ﴿٥﴾
- (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ﴿٦﴾
- (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) ﴿٧﴾

فمن توجيهات الآيات التأمل وإدراك نعمة البدن، والشكر لله بحسن استخدامها في العلم والاستبصار والفلاح والتعقل والتفكير، وعلى ذلك يجب على الإنسان أن يسعى بما وهبه الله من ملكات قلبية وعقلية ونفسية، وقدرات بدنية، تركز عليها المحبة، يجب عليه أن يختار السير بها على طريق الحق، وبما وجهه إليه الشرع الحكيم، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلَلَّا نَعْمَ بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) ﴿٨﴾ وهذه الملكات تمثل الكيان الإنساني وهي:

(١) سورة البلد: ٨ - ١٠.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) سورة النحل: ٧٨.

(٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥) سورة الشمس: ٧ - ١٠.

(٦) سورة الأنعام: ٣٢.

(٧) سورة الروم: ٨.

(٨) سورة الأعراف: ١٧٩.

- ١) القلب والعقل والنفس، وهي مصادر الفقه والتحكم في الصلاح والفساد عند الإنسان.
 - ٢) السمع والبصر والكلام والحس، وهي وسائل الإدراك والتفهم لخبرات الأحداث .
 - ٣) الجوارح وهي محور الحركة والأخذ والعطاء والتعامل.
 - ٤) عوامل اللذة في الطعام والشراب والشهوة، وهي الرغائب الدافعة إلى متعة الحياة.
 - ٥) عوامل القوة والستر والزينة المادية والمعنوية، وهي مظاهر التميز في البدن والمكان والمكانة.
- وتسمو صفة المحبة بصاحبها إذا تعاهد قدراته بالعناية والرعاية، والسير بها إلى طريق الخير والجنة؛ لأن طريق الحق واضح جلي، وطوق النجاة عمل زكي، وصلاح القلب يكون بسداد القول وصحة العمل، وذلك من أهم أسباب النجاة، حيث صلاح القلب متعلق بالتوحيد الخالص والإيمان الصادق واليقين، وسداد القول وصحة العمل مرتبطان بالسنة، علما وعملا، و بها يكون سبيل الاستقامة في الحياة، عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رحمته الله ((قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدَّثَنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا^(١).
- ثالثا: الركائز التكليفية:

إن ركائز المحبة التكليفية تعتمد على مطالب الشريعة، فيما جاءت به من الأوامر والنواهي، فإن المحبة الصادرة من الإنسان وإليه، مقيدة بشروط وضوابط وحدود الدين في الحلال والحرام، هي حدود المحبة الشرعية. والمكلف يلزمه التمسك بحدود وقيود الشريعة، سواء كانت في خصوصه أو فيما اختصت به المطالب، ويمكن أن نحدد الركائز التكليفية للمحبة وفق ما يلي :

- ١) الأدلة الشرعية المبينة للحلال والحرام: وهذه الأدلة عليها مدار القبول والرد، والثواب والعقاب. ومصدر هذه الأدلة هي الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.
- ٢) الأحكام: وهذه الأحكام تختلف في أنواعها حسب شرائع الدين في أصوله وفروعه من حيث الشروط والأركان، والواجبات والسنن، على اتفاق بين الأئمة الفقهاء في الأصول، وعلى اختلاف في الفروع.
- ٣) الفساد والصحة : ويمثله فساد الحكم وصحته، وفساد العمل وصحته، وفق استنباط العلماء، وأقوال الفقهاء، وترتكز المحبة فيها على قاعدة النفع لا الضرر، وجلب المصلحة و دفع المفسدة.

(١) سنن الترمذي- كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في حفظ اللسان . واللفظ له، حديث رقم: ٢٥٩٢ (٤/٦٠٧)، وسنن ابن ماجه-كتاب الفتن-باب كف اللسان في الفتنة. حديث رقم: ٣٩٧٢ (٥/١١٥) ومسند الإمام أحمد - مسند المكين رضي الله عنهم، حديث رقم: ١٥٤٥٧ (٣/٤١٣) تعليق شعيب الأرنؤوط على المسند: حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (حديث رقم: ٣٩٦٢ (٢/٣٥٨)). وخرجه مسلم على غير هذا اللفظ.

وواجب المكلف الشرعي أن ينطلق من حبه لدينه، ومروءة ربه ابتغاء القبول والثواب، فيسعى لكمال العبودية لله، بالأداء المشروع، على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى عنه، القاضي بالاتباع والناهي عن الابتداع. وأحكام التكليف في الشرع، تركز عليها المحبة كسائر الصفات الإنسانية، في تحقيق العبادات وتحصيل القربات، وإن العلم بالأحكام في الحلال والحرام من مقدمات المطالب في الشريعة، والعمل بها دليل الاتباع، والإحسان فيها دليل التقوى، وعليه فإن الإنسان المسلم عندما يحب شيئاً، يعرضه على أحكام الشريعة التكليفية من خلال الأدلة التشريعية، فإما يستمر في حبه أو يكف عنه، لذا صنف العلماء والفقهاء كتب الأصول والفقه، وبينوا الأدلة وقواعد وأوجه الاستدلال، كي يكون المسلم على فقه في دينه، يقول العلامة الجويني^(١) في أول متن الورقات في أصول الفقه: (فالأصل ما بني عليه غيره، والفرع ما يبنى على غيره، والفقه معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد^(٢)) والمحبة تدخل في الأصول والفروع، وقد فصل الفقهاء الأصوليون الأحكام الشرعية على أقسام معتبرة، يجب على الدعاة إلى الله أن يعرفوها ليفصلوا للمدعوين، ما يجب عليهم من أوامر الدين، والمنطلق في هذه المعرفة محبة الله ورسوله ﷺ ومحبة الفقه في الدين التي بهما تكون الخيرية والنجاة، وأعرض تفصيلاً مختصراً للعلامة الداعية الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين في خصوص الأحكام الشرعية قال: (الأحكام: جمع حكم وهو لغة: القضاء. واصطلاحاً: ما اقتضاه خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين من طلب، أو تخيير، أو وضع. فالمراد بقولنا: "خطاب الشرع"؛ الكتاب والسنة. والمراد بقولنا: "المتعلق بأفعال المكلفين"؛ ما تعلق بأعمالهم سواء كانت قولاً أم فعلاً، إيجاباً أم تركاً. فخرج به ما تعلق بالاعتقاد، فلا يسمى حكماً بهذا الاصطلاح. والمراد بقولنا: "المكلفين"؛ ما من شأنهم التكليف، فلا يشمل الصغير والمجنون. والمراد بقولنا: "من طلب"؛ الأمر والنهي سواء على سبيل الإلزام، أو الأفضلية. والمراد بقولنا: "أو تخيير"؛ المباح. **فالتكليفية خمسة**: الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح.

١ - فالواجب لغة: الساقط واللازم. واصطلاحاً: ما أمر به الشارع على وجه الإلزام؛ كالصلوات الخمس. والواجب يثاب فاعله امتثالاً، ويستحق العقاب تاركه. ويسمى: فرضاً وفريضة وحتماً ولازماً.

(١) إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، صاحب التصانيف. ولد: في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة. تفقه على والده، وتوفي أبوه ولأبي المعالي عشرون سنة، فدرس مكانه، وكان يتردد إلى مدرسة البيهقي، وأحكم الأصول على أبي القاسم الإسفراييني، سافر عن نيسابور، فذهب إلى المعسكر، ثم إلى بغداد، وصحب الوزير أبا نصر الكندري، ثم حج، وجاور أربع سنين يدرس، ويفتي، ويجمع طرق المذهب، إلى أن رجع إلى بلده، فدرس بنظامية نيسابور، واستقام الأمر، وبقي على ذلك ثلاثين سنة غير مراحم ولا مدافع، مسلماً له المحراب والمثير والخطبة والتدريس، ومجلس الوعظ يوم الجمعة، وظهرت تصانيفه، وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم من الطلبة، كان يقعد بين يديه نحو من ثلاث مائة، وتفقه به أئمة. وحكى الفقيه أبو عبد الله الحسن بن العباس الرستمى قال: حكى لنا أبو الفتح الطبري الفقيه قال: دخلت على أبي المعالي في مرضه، فقال: أشهدوا علي أنني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجايز نيسابور. توفي: في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مائة. ودفن في داره، ثم نقل بعد سنين إلى مقبرة الحسين، فدفن بجانب والده. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٣/٣٥).

(٢) الورقات. إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، الرياض: دار طويق، ط ١، ١٤٢٤هـ، ص: ٣.

- ٢ - والمندوب لغة: المدعو. واصطلاحاً: ما أمر به الشارع لا على وجه الإلزام؛ كالرواتب. والمندوب يثاب فاعله امتثالاً، ولا يعاقب تاركه. ويُسمَّى سنة ومسئولاً ومستحباً ونفلاً.
- ٣ - والمحرم لغة: الممنوع. واصطلاحاً: ما نهى عنه الشارع على وجه الإلزام بالترك؛ كعقوق الوالدين. فخرج بقولنا: "ما نهى عنه الشارع"؛ الواجب والمندوب والمباح. والمحرم يثاب تاركه امتثالاً، ويستحق العقاب فاعله. ويسمى: محظوراً أو ممنوعاً.
- ٤ - والمكروه لغة: المبغض. واصطلاحاً: ما نهى عنه الشارع لا على وجه الإلزام بالترك؛ كالأخذ بالشمال والإعطاء بها. والمكروه: يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله.
- ٥ - والمباح لغة: المعلن والمأذون فيه. واصطلاحاً: ما لا يتعلق به أمر، ولا نهى لذاته؛ كالأكل في رمضان ليلاً. وخرج بقولنا: "لذاته"؛ ما لو تعلق به أمر لكونه وسيلة لمأمور به، أو نهى لكونه وسيلة لمنهي عنه، فإن له حكم ما كان وسيلة له من مأمور، أو منهي، ولا يخرج ذلك عن كونه مباحاً في الأصل. والمباح ما دام على وصف الإباحة، فإنه لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب. ويسمى: حلالاً وجائزاً.
- الأحكام الوضعية:** ما وضعه الشارع من أمارات، لثبوت أو انتفاء، أو نفوذ، أو إلغاء. ومنها: الصحة والفساد (انتهى كلامه يرحمه الله. ^(١))
- فمن لوازم الدعوة أن يكون الدعاة على علم فيما يدعون إليه، من العقيدة والأحكام، بمعرفة الأدلة وأوجه الاستدلال على وجه التفصيل أو الإجمال؛ لأن الحكم ما قام به الدليل، والعلم طريق له، ولا يكون ذلك إلا بالمدارسة والمطالعة والنظر. بوب أبو اسحاق الشيرازي للدليل باباً في كتابه (اللمع) قال: (باب بيان النظر والدليل: والنظر هو الفكر في حال المنظور فيه، وهو طريق إلى معرفة الأحكام إذا وجد بشروطه ^(٢)) وتأني أهمية ذلك، كي يكون المدعو على سبيل قويم، يعمل بما يعلم من ركائز المحبة التكليفية في الشريعة. يتقرب إلى الله ويعبده على بصيرة وعلم، ويستقيم على وسطية واعتدال بلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء. يجب الحلال ويسعى إليه ويبغض الحرام ويتبعده عنه. وعلى ما سبق يتأكد للباحث أن المحبة تقوم على ركائز في الشريعة ذات مناط بوجود الإنسان في الحياة الدنيا ومحبتها لها، وحب الأمل والبقاء، وذات مناط في خصائص الخلق من صفات فطرية يتفق الناس فيها، وصفات مكتسبة يظهر وجه الاختلاف بين الناس فيها، وأن المحبة أيضاً، ذات مناط بالتكاليف الشرعية فيما يجب أن يحب المرء ويكرهه، وفق أدلة الشرع وأحكامه.

(١) الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ، ص: ١٠ - ١٤.

(٢) اللمع في أصول الفقه، أبو اسحاق الشيرازي، تحقيق: أبو أويس الكردي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٣٢هـ، ص: